

المجلد (٦) – العدد (٢)

مجلة
العلوم العربية والإنسانية

رجب ١٤٣٤هـ – مايو ٢٠١٣م

النشر العلمي والترجمة

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٦)، العدد (٢)، ص ص ٦٦٩-٧١٥، (رجب ١٤٣٤هـ/ مايو ٢٠١٣)

علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب

د. عبدالعزيز بن حميد الحميد
أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث. يأتي هذا البحث متناولاً علماً جديداً في اصطلاحه وتكوينه وهو علم اللغة الجغرافي ، فهو تسمية غربية حديثة للعلم الذي يتشارك في بحوثه علمان هما : علم اللغة وعلم الجغرافيا ، فقد تناول العرب بعض مسائل العلوم اللغوية – ومنها علم اللغة الجغرافي - وبذلوا فيها جهوداً كبيرة لكنها نضجت عند غير العرب بعد نهضتهم في العصر الحاضر.

يهدف البحث إلى إبراز جهود العرب وبيان سبقهم في ميدان علم اللغة الجغرافي.

وسأتناول في هذا البحث ما يلي :

- التعريف بعلم اللغة الجغرافي : مفهومه، علاقاته، وظيفته.
- أهم الدراسات حوله.
- أهم قضايا علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته في العصر الحديث :
  - الأطالس اللغوية للهجات والظواهر اللغوية .
  - توزيع اللغات المختلفة في جميع أنحاء العالم ، وذكر الفصائل اللغوية المختلفة .
  - الثنائية اللغوية وعلاقة اللغات واللهجات ببعضها .
- ما يدخل تحت هذا العلم من جهود العرب لغويين وجغرافيين ، ومنها :
  - الفصاحة وحدودها الجغرافية عند اللغويين العرب.
  - الفروق بين اللهجات العربية القديمة في البلاد المختلفة، وأثر البيئة الجغرافية عليها.

- إشارات الجغرافيين والرحالة العرب إلى التغيرات الصوتية التي تصيب اللغة في البيئات الجغرافيـة المختلفة.
- إشارات الجغرافيين إلى تسميات أهل البلدان للأشياء:
- إشارات الجغرافيين اللغوية إلى اختلاف تسميات الأشياء من بلد إلى آخر:
- أحكام الجغرافيين على لغات البلدان:

• خاتمة تكشف عن أهم نتائج البحث.

توطئة

في الحديث عن علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته على اللغة العربية لا ننسى الجهود الغربيّة في نضوج هذا العلم واستقلاله وتأصيله، مع النظر إلى ما يدخل تحت هذا العلم من جهود علماء العرب من جغرافيّين ولغويّين بالتقدير والإشادة.

يأتي هذا البحث متناولاً علماً حديثاً في اصطلاحه وتكوينه وهو (**علم اللغة الجغرافي**)، فهو تسمية حديثة للعلم الذي يشترك في بحوثه علمان هما: اللغة والجغرافيا، وقد يسمّيه بعضهم بـ (اللغويّات الجغرافيّة) وآخرون بـ (اللسانيّات الجغرافيّة)، ولا عجبَ في كون العرب لغويين وجغرافيين لم يعرفوا هذا العلم؛ فالمعارف الإنسانية تراكميّة، والعرب مع سبقهم أغلب الأمم القديمة في دراساتهم اللغويّة وجهودهم الجغرافية التي شهد لها كبار علماء الغرب بتميّزها وتأثيرها في المعارف الإنسانية، لكنّ تأسيس هذا العلم يُحسب للغربيّين، فالعرب تناولوا بعض مسائل العلوم اللغويّة – ومنها علم اللغة الجغرافي - وبذلوا فيها جهوداً كبيرة، لكنّها نضجت عند غير العرب بعد نهضتهم في العصر الحاضر فوضعوا أصولها ونظريّاتها وتشكّلت علوماً مستقلة.

تأتي اللغة والجغرافيا علمين منفصلين في ميدانين متباعدين، فعلم اللغة يتعلق بلغة الإنسان وما يتصل به من فروع وقضايا، وعلم الجغرافيا يتعلق بالبلدان والمناطق وما يتصل بها من مسائل بعيدة عن اللغة، لكنّ هذين العلمين يتقاربان ليكونا علماً واحداً تبدو الصلة وثيقةً بين هذين الجانبين فيه.

إنّ نقاط الالتقاء بين اللغة والجغرافيا تبدو عند التمعّن فيها مناطق واسعة يغفل عنها الباحثون؛ بسبب غفلة اللغويّ عن قضايا اللغة المتصلة بالجغرافيا، وغفلة الجغرافيّ عن قضايا الجغرافيا المتصلة باللغة، ولذا يحجم أكثر الباحثين عن الدراسات

المتصلة بهذا الميدان لما تحتاجه من اتساع نظرة من يخوض فيه، وأكثر اللغويّين يؤثر البحث فيما هو واضح من قضايا اللغة وموضوعاتها، ولا يلتفت لما يحتاج إلى علمٍ آخر.

تبدو نقاط التماسّ بين العلوم ميداناً خصباً لإقامة العديد من الدراسات الحيّة، وهي في أغلبها قضايا وموضوعات تربط بين القديم والحديث، ويخرج منها علوم حديثة في اصطلاحها وإن كان لبعضها أصول قديمة في كتب العلماء.

ولو أنا نظرنا إلى أسماء العلوم التالية لوجدنا لكل علم ميداناً مستقلاً:

علم اللغة

علم الجغرافيا

علم التاريخ

علم النفس

علم الاجتماع

علم الحاسوب... وعلومٍ أخرى.

ولأنّ اللغة عنصرٌ فاعلٌ في حياة الإنسان ومرتكزٌ تدور حوله العديد من تلك العلوم فإنّها تتداخل معها ليخرج منها علوم جديدة تجمع بين اللغة وأحد تلك العلوم، ولذا تُعرف الآن علومٌ حديثةٌ تحمل الأسماء التالية:

علم اللغة الجغرافي

علم اللغة التاريخي

علم اللغة النفسي

علم اللغة الاجتماعي

علم اللغة الحاسوبي

لست أعني من إشاراتي السابقة أنّ الصلة بين اللغة وتلك العلوم صلاتٌ مفتعلةٌ أو محدثةٌ ، بل أعني إيضاح تلك الصلات وبيان مجيئها من علومٍ تبدو في ظاهرها متباعدة ، كما أنّ هذه العلوم الحديثة في اصطلاحاتها ونضجها لها أصولٌ وردت في إشاراتٍ ووقفاتٍ قديمةٍ للعلماء ، مما يدلّ على أنهم عرفوا موضوعات تلك العلوم وإن لم تستقلّ لديهم ، فأكثر مسائل تلك العلوم وردت متناثرة لدى القدماء على أنّها جزء من دراساتهم حول اللغة.

لقد أدرك الجغرافيون العرب أهمية الموقع الجغرافي وأثره على اللغة ، وكذلك أدرك اللغويّون ذلك عند جمعهم اللغة فاعتنوا بتحديد الموقع الجغرافي للقبائل التي رووا عنها ، والتي رأوا عدم الرواية عنها لتأثر لغتها بمؤثرات خارجيّة ، كما أنّ ملاحظات الجغرافيين والرحّالة وأحكامهم اللغويّة على ما يسمعونه من لغات البلدان علامة جليّة على أهميّة الموقع الجغرافي وصلته باللغة.

ولا يشكّ المطلع على التراث العربيّ أنه كان " عند العرب بذور علم اللغة الجغرافي الذي يدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها ، وإن لم تكن على نحو علمي صارم ، وتبدو في أخذهم رواية اللغة عن الأعراب في البوادي ووضع الحدود بين اللهجات وقبائلها "[(١)].

في الصفحات التالية لهذا البحث سأكشف عن حداثة علم اللغة الجغرافيّ ، وما يدخل تحته من مباحث جديدة ، مع الكشف عن أعمال العرب التي تدخل تحته ، سواء كانوا لغويّين أم جغرافيّين ، ومحاولتي هذه هي لإبراز تكامل الجهود وإن كانت في لغاتٍ مختلفة وحضارات متعدّدة ؛ وفي موضوعنا هذا يتجلّى النضج الحديث على أيدي

---

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية - عبد الفتاح المصري - مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ١٣٥ و ١٣٦ تموز و آب ١٩٨٢

الغربيّين لهذا العلم (علم اللغة الجغرافي)، مع أنّ علماء العرب كانوا أسبق في وضع موادّه والعناية بمفهومه مع أنّهم لم يعرفوه علماً مستقلاً كما هو في هذا العصر.

علم اللغة الجغرافي: مفهومه، علاقاته، وظيفته

تعدّدت تسميات هذا العلم مع الاختلاف بين الباحثين في المساواة بين تلك التسميات أو التفرقة بينها، وفيما يلي بيان أهمّ هذه التسميات:

• علم اللغة الجغرافي أو علم اللغة الإقليمي Area Linguistics : " فرع من فروع علم اللغة يبحث في تصنيف اللهجات واللغات على أساس جغرافي، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما وفي الفروق بين هذه اللهجات.

• يسمى هذا العلم أيضاً جغرافيا اللهجات أو الجغرافية اللغوية Linguistic geography.

• يطلق مصطلح علم اللغة الإقليمي / الجغرافي أيضاً على دراسة اللغات أو اللهجات التي يتكلمها السكان في منطقة معينة. ومثال ذلك دراسة لغتين متجاورتين لمعرفة كيف تؤثر كل منهما في الأخرى فيما يتعلق بالنحو، والمفردات، والنطق، إلخ.

• ويطلق على علم اللغة الجغرافي مصطلح: Geographical Linguistics، وهو فرع علم اللغة الذي يدرس التوزيع الإقليمي للهجات.

• ويُطلق أيضاً على علم اللغة الجغرافي: Geolinguistics ويعرفونه بأنه دراسة اللغات من حيث توزيعها الجغرافي والسكني، ومن حيث تأثير كل لغة في اللغات الأخرى.

ويهتم علم اللغة الجغرافي بدراسة اللغات في الحالة التي هي عليها الآن، مع الإشارة بصفة خاصة إلى عدد المتحدثين بكل لغة، والتوزيع الجغرافي، والأهمية الاقتصادية والعلمية والثقافية؛ وأيضاً التعرف عليها في أشكالها المنطوقة والمكتوبة [٢]

• وعرّفه بعضهم بأنّه دراسة إقليم جغرافي معيّن دراسة جغرافية تاريخية واجتماعية في وحدة لغوية معيّنة[٣].

ويتضح من المصطلحات المتعدّدة السابقة أنّه في أغلبه تعدّدٌ في المصطلح لعلمٍ واحدٍ، وهو ما يعطي هذا العلم اتساعاً يصعب حصر قضاياه التي تدخل تحته، ولذا لا نعجب من اختلاف الكتب التي تتحدث عن هذا العلم فيما يدخل تحته من دراسات، وهو ما يعطينا اتساعاً في تطبيقاته على المسائل التي تتصل فيها اللغة بالجغرافيا.

---

(٢) ينظر عن مصطلحات هذا العلم بحث: المصطلح LINGUISTICS وفروعه في أهم المعاجم العربية والإنجليزية المتخصصة في علم اللغة - الدكتور/ أحمد شفيق الخطيب في كتابه (قراءات في علم اللغة ص ٤٢، ٥٣-٥٤)، وكتاب: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي لرونالد ل. بريتون بترجمة هارولد ف. شفمن إلى الإنجليزية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحمدي، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١هـ ص ٢٣

(٣) ينظر: (الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة) – رسالة دكتوراه أعدها أحمد عبد الله عبد ربه ياغي، بإشراف أ. د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ ١٩٩١م ص ٧

علاقات علم اللغة الجغرافي وأبعاده

لعلم اللغة الجغرافي علاقات بالعديد من العلوم والمعارف، وفيما يلي ذكر أبعاد علاقاته بالعديد من المعارف:

البعد المكاني: وهو ارتباط الظواهر اللغويّة في هذا العلم بالمكان، وهذا الارتباط هو الصلة الوثيقة بين علمي اللغة والجغرافيا.

البعد ا تمعي: فعلم اللغة الجغرافي علمٌ مجتمعيّ لتركيزه على دراسة المجتمعات إجمالاً لا دراسة جزء منها، فهو علم يعتمد على علم اللغة السكاني باعتماده على الإحصاءات السكانية، وتحديد الأبعاد العرقية للانتشار اللغوي.

البعـــد الاقتــصادي: ويكون اتصاله بوسائل الإعلام والمنتجات المرتبطة بالاستخدام اللغوي، ثم حياة اللغات وبقاؤها أو اندثارها اعتماداً على هذا الإطار المادي.

البعد الزماني: ويُعنى به التاريخ وصلته بالماضي والمستقبل، وتطور اللغات وانتشارها وحيويتها اعتماداً على التفاعل بين العامل التاريخي والعوامل الأخرى.

البعد السياسي: ويُقصد به ما تقوم به مؤسسات الدولة التي تؤثر في الاستعمال الاصطلاحي اللغوي بآلياتها الفكرية والثقافية والقضائية والتعليمية والصحفية، أي السياسات اللغوية.

البعد اللغوي: وهو الركيزة الرئيسة لعلم اللغة الجغرافي، ويُعنى به التكوّن اللغوي وتفرّع اللغة إلى لغات جديدة، والتطوّر اللغوي وما يتصل به، فعلم اللغة الجغرافي ينظر إلى اللغات في محيطاتها الحيوية(٤).

---

(٤) ينظر عن أبعاد هذا العلم: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ١٧-٢٠

وظيفة علم اللغة الجغرافي

جعل اللغويّ ماريوباي من وظيفة علم اللغة الجغرافي أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات في مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميّتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية، وأن يدرس طرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض، وكيفية تأثير العامل اللغوي على تطور الثقافة والفكر الوطنيين(٥)، ولا شكّ أن ما ذكره ماريوباي هي بعض وظائف هذا العلم، فهو علم واسع متجدّد يتناول مسائل كثيرة تلتقي فيها اللغة بالجغرافيا.

من أبرز الدراسات حول علم اللغة الجغرافي المكتوبة بالعربية أو المترجمة إليها

ورد ذكر هذا العلم باقتضاب في العديد من كتب علم اللغة، وفي أغلبها لا يعدو الحديثُ التعريف العامّ بالعلم والحديث المقتضب عنه، وفي حديثي عن هذا العلم أبدأ بالتعريف بأهم ما كُتب بالعربية أو تُرجم إليها حول هذا العلم، فأذكر دراستين عربيّتين، ثم أُتبعهما بدراستين غربيّتين تناولت هذا العلم، وفيما يلي تعريفٌ بالدراسات الأربع:

• **الأولى** دراسة اعتنت بجمع ما اشتمل عليه التراث الجغرافي العربي من ملاحظات لغوية تدخل تحت علم اللغة الجغرافي، وهذه الدراسة تُعدّ تعريفاً بالجانب التطبيقي لهذا العلم لدى الجغرافيين العرب، وهي الدراسة التي أعدّها الدكتور أحمد عبد الله عبد ربه ياغي لنيل درجة الدكتوراه، وعنوانها (**الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة**) بإشراف أ. د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ ١٩٩١م،

---

(٥) ينظر أسس علم اللغة – ماريوباي، ترجمه د. أحمد مختار عمر ص ٣٧.

وهي – فيما اطلعت عليه - أوسع عمل تناول التراث الجغرافي العربي لاستخراج ما فيه مما يدخل تحت علم اللغة الجغرافي من ملاحظات وأحكام حول اللغات، فقد استعرض أغلب الكتب الجغرافية واستخرج الكثير مما يدخل تحت هذا العلم.

ولأهمية هذه الدراسة أقدّم سرداً بأقسامها مع العناوين لتقديم صورة تقريبية عنها:

الفصل الأول / التعريف ببعض مصادر المادة اللغويّة.

الفصل الثاني / التبادلات الفنولوجية بين أصوات اللغة العربية.

الفصل الثالث / التداخل الصوتي ونقل الأصوات بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

الفصل الرابع / تعريب الفونيمات الأجنبية.

الفصل الخامس / الأوزان والاشتقاق والنحت.

الفصل السادس / التذكير والتأنيث.

الفصل السابع / الإفراد والتثنية والجمع.

الفصل الثامن / النسب والتصغير.

الفصل التاسع / الجملة الاسمية.

الفصل العاشر / الجملة الفعلية.

الفصل الحادي عشر / الكلمات العربية ودلالاتها عند غير العرب.

الفصل الثاني عشر / الكلمات المعرّبة.

الفصل الثالث عشر / الكلمات العربية وتغير دلالاتها عند العرب.

الفصل الرابع عشر / الملامح العامّة للتغير اللغوي الذي وصفه الجغرافيون العرب.

نتائج البحث.

الخرائط الجغرافية اللغوية.

• وتأتي الدراسة **الثانية** عن التوزيع الجغرافي للعربية في العراق، فهي تطبيق لأحد جوانب هذا العلم، وهي كتاب (**التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق**) للدكتور إبراهيم السامرائي، فهو نموذج على البحوث المتصلة بعلم اللغة الجغرافي، وهو بحث يعتمد على الجانب التطبيقي في تطبيقه بعض أسس هذا العلم على الحالة اللغوية في العراق، ولعلّ تقديم عرض موجز له يعطي صورة واضحة عنه:

بدأ الكتاب بعدة موضوعات عن جغرافية العراق والسكان، والتاريخ القديم للعراق، والتعريف بالأمم التي عاشت فيه، ثم تحدث عن نشوء اللغة عند الإنسان القديم، ثم تحدث عن اللغات السامية وخصائصها وأقسامها، واللغات التي تدخل تحتها، فتحدث عن كل لغة باختصار، مثل الآشورية والآرامية.

ثم تحدث عن الألفاظ النصرانية التي ورثها العرب من العبرانيين والآراميين وغيرهم من الشعوب السامية، وسرد ٣٩ لفظاً نصرانياً مع شرحها.

ثم تحدث عن اللغة العربية، ثم قسّم العربية في العراق تقسيماً جغرافياً يقوم على الحواضر المدنية، وتحدث عن القبائل البدوية في العراق وبعض الخصائص اللهجية لها، وسرد عدداً كبيراً من الألفاظ البدوية.

وتحدث بعدها عن التقسيم الجغرافي للعربية في العراق، فقسمها ثلاثة أقسام:

١- العربية الشمالية: ذكر حدودها الجغرافية وخصائصها اللهجية، وسرد ألفاظاً كثيرةً من ألفاظ الموصل مرتبة على حروف المعجم.

٢- العربية في المنطقة الوسطى (اللهجة البغدادية): ذكر هذه اللهجة وعلاقتها بالفصحى، وذكر خصائصها، وأورد ما قاله القدماء كالجاحظ عن لغة العامة

ومظاهرها، وخصّ اللهجة البغدادية الحديثة فذكر العديد من خصائصها، ثم سرد كثيراً من الألفاظ مرتبة على الحروف مع الحديث عن كل لفظ وقربه أو بعده من الفصحى.

٣- العربية الجنوبية: تحدث عنها وذكر خصائصها المختلفة، ثم سرد عدداً من ألفاظهم.

وختم الكتاب بالإشارة إلى أن عمله هذا بداية، ولعله يستطيع وضع أطلس لغوي للعراق بعد استقرائه وقيامه بالمسح اللغوي للعربية في العراق.

ولا تخفى الصلة الوثيقة لما فعله المؤلف في كتابه بعلم اللغة الجغرافي.

أمّا الدراستان الأخريان فهما دراستان مترجمتان، فيما يلي تعريفٌ بهما:

• **الأولى** كتاب (**اللهجات العربية الغربية القديمة- تشيم رابين** Chaim Rabin**)**، وقد جاءت عن اللهجات العربية الغربية القديمة، فهي تطبيق لأحد جوانب علم اللغة الجغرافي، مع الاستعانة بالخرائط الجغرافية لإبراز الظواهر اللغوية، فهي دراسة عميقة عن بعض اللهجات العربية، وقد خصصها للعربية الغربية لكنه تعرض للهجات عربية أخرى.

ولعمق الدراسة وصعوبة تقديم عرض سريع معبّر عنها أذكر أهم موضوعاتها:

اللغويون العرب واللهجات: تحدث عن موقفهم من اللهجات ودراستها وتدوينها، ورسم خريطة عن (معارفنا عن اللهجات العربية) حدد فيها المناطق الجغرافية التي تتوفر موادها والمتوفرة نسبياً والقليلة أو النادرة.

آراء عن أصل العربية الفصحى: ذكر فيه الآراء المختلفة حول أصلها، وحدود الفصحى ولغة القرآن.

اليمن: تحدث عن لغة اليمن وذكر خصائصها المتعددة، واستعرض عدداً من الألفاظ في اليمنية مع ذكر مقابلاتها في اللغات السامية الأخرى.

ورسم خريطة حدد فيها التوزيع الجغرافي لكل من (أعطى وأنطى).

حمير: تحدث عن الحميرية وخصائصها وآراء العلماء حولها، وبعض النقوش في الحميرية، ورسم خريطة للمناطق التي تكلمت الحميرية في عصر الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب (صفة جزيرة العرب) الذي عاش في القرن الرابع الهجري.

أزد: ذكر الأزدية وخصائصها، ورسم ثلاث خرائط جغرافية لمناطق اللاصقة (ـه) للغائب المذكر، ولحركة حرف المضارعة، ولأخال وإخال.

اليمن الشمالي: ذكر اليمنية الشمالية والعديد من خصائصها اللهجية، ورسم خريطة لمناطق نصب وجر المثنى بالألف والنون، وأخرى لمناطق كيفية نطق حرف الجر (من) قبل (الـ)، وثالثة لاستعمال اسم الإشارة بدون أداة تعريف بعده.

هذيل: ذكر لغة هذيل واستعرض العديد من خصائصها، وذكر العديد من مسائل لغوية ونحوية، ورسم خريطة لضعف النطق بالواو والياء في أول الكلام.

الحجاز: ذكر حدود الحجاز ولغته، ثم تحدث طويلاً عن الحركات في اللغة الحجازية، ثم رسم خريطة لتحول الفتحة الطويلة إلى ضمة نصف ضيقة، وأخرى لمناطق تقصير الكسرة الطويلة الأخيرة، ثم تحدث عن السواكن بعمق كبير، ورسم خريطة لمناطق ضعف السواكن البلعومية، وأخرى لمناطق إسقاط الهمزة، ثم تحدث عن الصرف وفصل فيه مسائل كثيرة، ورسم خريطة لصيغ الماضي المضعف، ثم تحدث عن النحو ومسائل كثيرة منه، ورسم خريطة للحالة الإعرابية لما بعد (منذ).

طيء: تحدث عن لغة طيء وخصائصها، ورسم خريطة لتحول الياء المفتوحة بعد كسرة إلى فتحة، وخريطة لمناطق تحول (إ ي ي إلى إ ج ج)، ويقصد بهذا التحوّل العجعجة، وأخرى للصيغة القديمة لاسم الموصول(٦).

• **والدراسة الثانية** دراسة قيّمة عن العلم نفسه (علم اللغة الجغرافي) فهي دراسة منهجيّة دقيقة لمسائل هذا العلم، مع التمثيل عليها من الواقع اللغوي المعاصر، وهو من أبرز الكتب المترجمة وعنوانه (**علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي** لرونالد ل. بريتون، ثمّ ترجمه هارولد ف. شفمن إلى الإنجليزية بإضافات مفيدة على النسخة الأصلية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحمدي)، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١هـ.

وللأهمية الكبيرة لهذا الكتاب وكونه مصدراً متميّزاً من المصادر المترجمة لهذا العلم أقدّم عرضاً مختصراً لأهمّ موضوعات الكتاب ليتّضح مفهوم هذا العلم لدى الغربيّين:

القسم الأول: مشكلات علم اللغة الجغرافي العامة

الفصل الأول: (علم دراسة اللهجات وعلم اللغة الجغرافي)، وتحته دراسات تمهيدية عن اللغة ومستويات دراستها، ثم عن دراسة اللهجات، والكثير عن قضايا علم اللغة الجغرافي.

الفصل الثاني: (الطبيعة العرقية للغة)، وتحته مجموعة قضايا منها: اللغة الأم، الثنائية اللغوية، الازدواج اللغوي، اللغة والسلالة، اللغة والقبيلة، اللغة القومية

---

(٦) اللهجات العربية الغربية القديمة – تشيم رابين، ترجمه عبد الرحمن أيوب وطبعته جامعة الكويت عام ١٩٨٦م، وقد نشر الكتاب بعنوان آخر هو: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية.

العرقية، اللغة والمواطنة، اللغة والانتماء الديني، الانتماء العرقي والمجموعات العرقية اللغوية..

الفصل الثالث: (السنن اللغوية)، وتحته: مراحل النمو والانتشار، حياة اللغات وموتها، التوطين الإقليمي للغات.

الفصل الرابع: (الطرق والمنهجية)، وتحته: ضرورة قياس الكمية، الإحصاءات اللغوية، المسوح اللغوية وإحصاءات وسائل إعلام الجماهير، الاستعمال الاصطلاحي الرسمي والاستعمال الاصطلاحي القانوني، التمثيل البياني: الخرائط، الرسوم البيانية والجداول البيانية.

القسم الثاني: توزع اللغات في العالم الحديث:

الفصل الخامس: (الأسر اللغويّة ونظم الكتابة)، وتحته: الأسر اللغوية المعاصرة، توزع نظم الكتابة.

الفصل السادس: (التوزّع القارّي والقومي للغات)، وتحته: أوروبا واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، العالم العربي والسامي، آسيا والجزر الأوقيانوسية، الأمريكتان، أفريقيا السوداء وجزر المحيط الهندي.

الفصل السابع: (الوضع العالمي)، وتحته: تفاوت المجموعات العرقية اللغوية، اللغات الدولية.

الفصل الثامن: (الخاتمة).

ويتضح من هذا العرض المختصر للكتاب شموله قضايا ومسائل كثيرة تدخل تحت علم اللغة الجغرافي، ولا شكّ أنه يُعدّ من المصادر المتأخرة لهذا العلم.

لعل فيما مضى من التعريف بالكتب الأربعة ما يكشف عن تنوّع ميادين البحث في علم اللغة الجغرافي والسعة فيه، فهو ميدان واسع فيه الكثير من الدراسات المتنوّعة، ولعل هذه الدراسات تعطي تمثيلاً صادقاً عنها.

أهم قضايا علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته في العصر الحديث

بما أنّ هذا العلم من العلوم الحديثة التي استوتْ ونضجتْ في هذا العصر، مع وجود أصولٍ له في القديم، يحسن التعريف بأهمّ مسائله والجهود التي بُذلت فيها:

○ الأطالس الجغرافية للهجات والظواهر اللغوية

تُعدّ الأطالس اللغوية إحدى الطرق الحديثة التي جاد بها التقدّم العلمي على الدراسات اللغويّة، ففي الماضي كان الحديث النظري هو الغالب لإبراز ظاهرة لغويّة متصلة بموقعها الجغرافيّ، وهي طريقة حديثة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر، ولا شكّ أنّ إبراز الظاهرة في موقعها الجغرافي على خريطة أبلغ وأوضح من الوصف الكتابي.

والأطالس اللغوية طريقة حديثة لم يعرفها العرب في تاريخهم، فمع ريادتهم بين الأمم في علم الجغرافيا ووصف البلدان لكنها ابتُكرت في القرن التاسع عشر في أوربا.

ولا نلوم جغرافيّي العرب لأنهم قصّروا في الوصول إليها؛ فالعلوم تنضج بين الأمم بالتراكم المعرفيّ، وكما سبق العربُ الغربَ في ميدان الجغرافيا في القديم، فقد استفاد علماء الغرب من إنجازات العرب في ميدان الجغرافيا وبنوا عليها، وجاءت الأطالس اللغوية إحدى مظاهر الابتكار الذي جادت به النهضة الحديثة.

وتُنسب فكرة الأطلس اللغوي إلى الألماني فنكر (Wenker)، والفرنسي جليرون (Gilliéron) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وقد قام كلٌّ منهما بعمل أطلس لبلاده.

وتطوّرت فكرة الأطلس اللغوي بعد ذلك فظهر أطلس لغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا، وأطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا، ثم أطلس لغوي للبلاد الألمانية والنمساوية، ثم مجموعة أطالس أخرى للعديد من بلاد أوربا (٧).

أمّا فيما يخصّ العالم العربي فمن المشهور ما قام به المستشرق الألماني برجشتراسر من صنع أطلس لغويّ لسوريا وفلسطين، بعد أن جمع الاختلافات اللهجيّة لسوريا وفلسطين في خرائط جغرافية، ثم نشره في ليبزج سنة ١٩١٥م(٨)، كما صدر في سنة ١٩٨٦ أطلسان لغويان لمصر واليمن للألماني بينشتيد (P.BEHNSTED)(٩).

ومع أن النماذج السابقة كانت لتدوين اللهجات العربية المعاصرة على خرائط، لكنّ هذه الطريقة صالحة لخدمة الفصحى بإبراز مظاهر لهجاتها، وهي وسيلة يمكن استخدامها لأيّة لهجات كانت بأيّة لغة.

ولا يشكّ أيّ باحثٍ في حاجة اللغة العربيّة إلى أطلس يُبرز لهجاتها عبر التاريخ، وقد نبّه إلى هذا العالم السويسري الأستاذ شتيجر Steiger، فذهب إلى أنّ الأطلس اللغوي للعربيّة سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات

---

(٧) ينظر للتفصيل: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٤

(٨) ينظر عن التفصيل حول أطلس برجشتراسر: الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر - الدكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).

(٩) ينظر: الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجمع العربي - الأستاذ إبراهيم محمد الخطابي (مجلة اللسان العربي – العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨هـ- ديسمبر ١٩٩٧م).

السامية ؛ لأنه سيكمل الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية. وسيكشف عن تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة(١٠).

أما عن طرق إعداد الأطلس اللغوي فقد اشتهر في الماضي طريقتان : ألمانية وفرنسية، لكنّهما أصبحتا قديمتين مع تقدّم الإمكانات الحاسوبيّة، ولا شكّ أن تطوّر رسم الخرائط وتعيين المواضع الجغرافية عليها حاسوبياً سهّل من إعداد الأطلس اللغويّ(١١).

وقد قامت محاولات لرسم خرائط جغرافية مع وضع علامات للاختلافات اللهجيّة عليها، فهي محاولات لرسم خرائط تُبرز بعض الظواهر اللغويّة، ويمكن أن نعدّ هذه المحاولات نماذج صغيرة لرسم أطلس لغويّ، ويمكن أن نذكر منها محاولتين :

• أعدّ أحمد عبد الله عبد ربه ياغي خرائط جغرافية لغوية للتبادلات الصوتية التي ذكرها الجغرافيون عند ذكرهم الاختلافات الصوتية بين اللهجات المختلفة، في رسالته للدكتوراه وعنوانها : (الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب : دراسة في ضوء علم اللغة).

والخرائط التي رسمها قسّمها إلى ثلاثة أنواع : الأول : خرائط خاصة بالتبادلات الصوتية الشائعة في المناطق العربية، الثاني : خرائط خاصة بالتبادلات الصوتية غير الشائعة مع انحصارها في إقليم معين، الثالث : خرائط تبين أشهر التبادلات الصوتية

---

(١٠) ينظر: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر، مجلة مجمع اللغة العربية ٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٤

(١١) ينظر عن طرق عمل الأطلس: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر، - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة ا مع ٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٤، الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر - الدكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة ا مع، الجزء الـسابع والثلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).

للأصوات العربية في المناطق غير العربية ، وقد بلغت الخرائط التي مثّلت الأنواع الثلاثة اثنتي عشرة خريطة ، ومع ما في محاولته من قصور في مراعاة الدقّة في رسم الخرائط وإبراز التبادلات الصوتية عليها لكنّها محاولةٌ قيّمةٌ في استخدام الخرائط الجغرافية لإبراز ظواهر لغويّة(١٢).

o قام تشيم رابين Chaim Rabin في كتابه (اللهجات العربية الغربية القديمة) برسم عدد من الخرائط الجغرافية لإبراز ظواهر لغوية متعدّدة ، وقد بلغت تلك الخرائط عشرين خريطة ، وقد انطلق من نصّ للهمدانيّ عند حديثه عن لغات الجزيرة ، وأبرز في خرائطه عدداً من الاختلافات اللهجيّة مثل إلزام المثنى الألف في جميع حالاته ، مع ذكر القبائل المختلفة التي نُسبت إليها هذه اللهجة مع إبراز مواطنها الجغرافية على الخريطة ، والاختلاف في حركة حرف المضارعة بين الفتح والكسر ، كما أبرز مواطن اللغة الحميرية الخالصة ، والحميرية المختلطة التي ذكرها الهمداني(١٣).

- **توزيع اللغات المختلفة في جميع أنحاء العالم، وذكر الفصائل اللغوية**

ممّا عُني به علم اللغة دراسة انتشار اللغات في العالم وتوزيعها إلى فصائل ومجموعات تجمع بينها خصائص معيّنة ، بحسب الأسس التي يُبنى عليه ذلك التقسيم ، وهذا العمل يدخل في ميدان علم اللغة الجغرافي.

ومع اختلاف اللغويين في تصنيف اللغات إلى مجموعات لكنّ تلك التصنيفات يتبعها تحديد المواطن الجغرافية لتلك المجموعات ، وقد اختلفت تلك التقسيمات بين

(١٢) للاطلاع على جميع الخرائط وجميع أنواع التبادلات التي ذكرها بتفصيل ينظر: الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب: دراسة في ضوء علم اللغة ص ٤٧٤-٤٩٠

(١٣) سبق التعريف باختصار بكتاب رابين (اللهجات العربية الغربية القديمة) عند ذكر أبرز الدراسات حول علم اللغة الجغرافي، وسيأتي الحديث عن أحكام الهمداني على لغات الجزيرة في كتابه (صفة جزيرة العرب).

تقسيمات كبرى تضم كل فصيلة فيها مجموعات من اللغات، وتقسيمات صغرى يخصّ القسم الواحد عدداً أقلّ من اللغات، لكنّ تلك التقسيمات تعتمد على توزيع جغرافي للغة[١٤].

والربط بين لغات في بيئتين جغرافيّتين مختلفتين بسبب صلات قرابة بينها يدخل في هذا الميدان، ومن أشهر تصنيفات اللغات التصنيف القائم على اكتشاف صِلات القرابة بينها، وتلك الصِلات يؤكدها التشابه الجامع بين اللغات في الخصائص والسِمات، ويمكن لنا تذكّر اكتشاف السير وليم جونز أن اللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، والإغريقية واللاتينية والجرمانية والكلتية تُمتّ بصلة قربى بينها، فكلّها تنتمي إلى فصيلة واحدة عُرفت بعد ذلك بالهندية الأوربية، وقد اكتشف هذه القربى من ملاحظة التشابه في القواعد وجذور الأفعال وغيرها من خصائص[١٥].

- **دراسة اللهجات وعلاقة بعضها ببعض**

اعتنى اللغويون المحدثون بدراسة اللهجات في جميع اللغات، وعدّوا دراسة اللهجات جزءاً من دراسة اللغات الأُمّات لها؛ فدراسة اللهجة وربطها بلغتها الأمّ يمكن بها معرفة التغيّرات التي أصابت اللغة عند تفرّعها إلى لهجات، ومدى قُرب اللهجة وبُعدها من اللغة الأمّ.

---

(١٤) ينظر عن الأسر اللغوية المعاصرة بتفصيلات كثيرة: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ١٩٦ وما بعدها، لغات العالم: من يتكلم ماذا- برنارد كومري (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩٥٩ وما بعدها).

(١٥) ينظر: فصول في علم اللغة العام - ف. دي سوسير، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين ص ٤٨-٤٩، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥م.

ولقد عدّ ف. دي سوسير كل ما يتعلق بالانتشار الجغرافي للغات والانقسامات اللهجية يخصّ علم اللغة الخارجي، ورأى أن الظاهرة الجغرافية مرتبطة تماماً بوجود أيّ لغة، والامتداد الجغرافي والانقسام اللهجيّ لا يختار النظام الداخلي للغة في العادة(١٦).

ولأهميّة هذا الميدان جعله بعضهم علماً بمصطلح خاصّ به هو (علم جغرافيا اللهجة Dialect Geography) وتتصل به مسائل تفصيلية فرعية يصعب حصرها، منها: كيف تختلف لهجات اللغة الواحدة، وما العلاقات بينها ؟ وما درجة استقلاليتها ؟ وما حدود مناطق كلّ لهجة(١٧).

وفي هذا الميدان تظهر لنا عنايةُ الغربيّين عناية كبيرة بدراسة لغاتهم ولهجاتها وحدودها الجغرافية، والتحوّلات التي تصيبها من تأثير بعضها على بعض(١٨).

وفي ميدان الدراسات التي تتناول اللهجات العربية وصِلاتها، تأتي على مناهج مختلفة في التناول.

ويمكنني هنا سرد أسماء مجموعة من الأعمال التي تدخل في هذا الميدان مع اختلافها:

من كتب العرب عن اللهجات

- دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية – أحمد حسين شرف الدين، وهي دراسة قيمة مختصرة تجمع بين الظواهر اللهجية القديمة في لهجات الجزيرة واللهجات الحديثة.

(١٦) ينظر: اللغة كما تطورت: تتبع أشكالها وعائلا ا- ن. ي. كولينج (الموسوعة اللغوية- تحريـر ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٨٧٩- ٨٨٠).

(١٧) ينظر: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ٣٤ وما بعدها

(١٨) ينظر: اللغة انتماء جغرافي- مارتن ديورل (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمـة د. محيـي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩١٩ وما بعدها).

• معالم اللهجات العربية – د. عبد الحميد محمد أبو سكين، وهي دراسة تتعلق بلهجات الفصحى.

• المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية - د. محمد سالم محيسن، وهي دراسة تتناول لهجات الفصحى وظواهرها المختلفة وما ورد منها في القرآن الكريم.

• في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس، ولهذا الكتاب قيمة كبيرة لتعلقه بلهجات الفصحى وظواهرها، مع ربطها بالظواهر المعاصرة.

• المعجم الكامل في لهجات الفصحى – د. داود سلوم، وهو معجم قيّم جمع فيه مؤلفه الظواهر التي ذكرها العلماء للهجات العربية المختلفة، بذكر الظاهرة تحت اللفظ الذي وردت فيه، وذكر مصادرها القديمة التي ذكرتها.

• معجم لغات القبائل والأمصار - د. جميل سعيد، د. داود سلوم، وهو معجم قيّم في ذكر اللفظ الذي ورد في اللغة أو في القرآن الكريم مع ذكر القبيلة التي نُسب إليها.

ولا يخفى أنّ بعض دارسي العربيّة من غير العرب أكثر عناية بدراسة اللهجات من العرب، وقد قامت دراسات متعدّدة أذكر منها دراستين ممّا تُرجم إلى العربية:

o اللهجات العربية الغربية القديمة – تشيم رابين، ترجمه عبد الرحمن أيوب، وقد قدّمت عنه عرضاً عند ذكر الدراسات التي تدخل في علم اللغة الجغرافي، ولا شكّ أن دراسته تدخل في ميدان اللهجات.

• دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية – ت. م. جونستون، ترجمه د. أحمد بن محمد الضبيب، وهي دراسة حول لهجات الخليج العربي بدوله المتعددة، ومع كونها تتعلق باللهجات العامية لكنّها تدلّ على جهد علمي جدير بالاهتمام، وقد

استعان بعدد من الخرائط الجغرافية لتصوير مناطق توزيع اللهجات، وإبراز بعض الظواهر اللهجية على المواقع الجغرافية.

ما يدخل تحت هذا العلم من جهود العرب السابقين لغويين وجغرافيين

ورد عن العرب لغويين وجغرافيين إشاراتٌ ووقفاتٌ تدخل في حقل اللغويات الجغرافية، وهم وإن لم يعرفوا هذا العلم ومصطلحاته الحديثة لكنّهم أدركوا الصلة الوثيقة بين اللغة والجغرافيا، والحاجة إلى العلمين معاً في بعض المسائل، فاللغوي في بعض المسائل اللغويّة يربط بين اللغة والموقع الجغرافي، والجغرافي عند حديثه عن بعض المواضع يشير إلى مسألة لغويّة.

وفيما يلي أذكر بعض تلك المسائل عند **اللغويين**:

• الفصاحة وحدودها الجغرافية عند اللغويين العرب

من عناية علماء العربيّة وحرصهم على نقاء اللغة وسلامتها وضعُهم حدوداً مكانيّةً وزمانيّةً للفصاحة، مع اختلافهم في تلك الحدود نظريّاً وتطبيقيّاً، أمّا الحدود المكانيّة – وهي المتصلة بموضوعنا - ففي الجانب النظريّ وردت أقوالٌ مختلفة أحياناً ومتناقضةٌ أحياناً عن القبائل التي شهد العلماء لها بالفصاحة والقبائل التي رأوا أنّ لغتها لم تسلم من الفساد، فجعلوا القبائل التي عاشت في وسط الجزيرة وابتعدت عن المؤثرات الخارجيّة فصيحة، وذهبوا إلى أن قبائل أطراف الجزيرة لا يُستشهد بكلامهم بسبب اختلاطهم بالأعاجم، أمّا في الجانب التطبيقي فالعلماء لم يلتزموا جميعاً بما اشتهر عنهم حول تلك القبائل فاستشهد بعضهم بكلام متحدّثين من بعض تلك

القبائل التي لا يُستشهد بكلامها، لكنْ مع كل هذا فوضعُ العلماء حدوداً ومعايير مكانيّةً للفصاحة دليل على ملاحظتهم ارتباط اللغة بالموضع الجغرافي(١٩).

والمطلع على كتب اللغة يدرك عناية العرب بهذه المسألة، فحرصهم الكبير على العربيّة جعلهم يسعون إلى وضع معايير لمعرفة الفصيح من البشر، ولا شكّ أنّ هذا العمل ممّا يدخل في ميدان علم اللغة الجغرافي باصطلاحه الحديث، فهي قضيّة لغويّة لها صلة بالجغرافيا.

ومن أشهر الأقوال التي حملت تفصيلاً في ذكر القبائل الفصيحة قول أبي نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩هـ في أول كتابه المسمى (بالألفاظ والحروف)، فقد ذكر عدداً من القبائل التي يُحتجّ بها، فقال: "**كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وإبانةً عما** في ا**لنفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية و م اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي** من بين **قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل** في **الغريب وفي الإعراب والتصريف،** ثم **هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم**"(٢٠)، ثم ذكر القبائل التي لم يأخذوا منها لاختلاطها بالعجم بسبب مجاورة أكثرها لهم لوقوعها في أطراف الجزيرة.

ولا يخفى على قارئ هذا النصّ التفاصيل المرتبطة بالموقع الجغرافي للقبائل التي ذكرها مع كونه نصّاً لعالم لغويّ يتحدث عن الفصاحة، مع أنّ تلك التفاصيل لم

(١٩) ينظر: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي - د. عبد العلي الودغيري (مجلة المعجمية ٥-٦/٢٢٠-٢٢٤).

(٢٠) الاقتراح في علم أصول النحو – جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، دار المعرفة الجامعية ص ١٠١-١٠٤

يُجمع عليها العلماء لكنّها مثالٌ واضحٌ للربط بين علمي اللغة والجغرافيا، كما أنّهم ربّما خالفوا أحياناً تلك الحدود فاستشهدوا بمن ذكروا أنّه لا يُستشهد بكلامه.

وفي نصّ لغويّ آخر نلحظ اختلافات عمّا ورد في النصّ السابق، حول أسماء القبائل التي يستشهد بكلامها والتي لا يستشهد بكلامها، ولأهمّيّة النصّ لكونه عن الأصمعي تأتي أهمّيّته للدلالة على ارتباط قضية الفصاحة بالموقع الجغرافي، قال الأصمعي: " قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث (وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن): فأولها **هذيل**، وهي تلي السهل من تهامة، ثم **بجيلة** في السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم **سراة الأزد أزد شنوءة** وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد، وقال أبو عمرو أيضاً: أفصح الناس عُليا تميم وسفلى قيس، وقال أبو زيد: أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة، يعني عَجُز هوازن، قال: ولست أقول: قالت العرب إلا ما سمعت منهم، وإلا لم أقل: قالت العرب... وأهل العالية أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها، ولغتهم ليست بتلك عنده"[٢١].

وذكر المبرد قول الخليل بن أحمد: " أفصح الناس أزد السراة "[٢٢].

وكذا قول أبي عمرو بن العلاء: " أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم، قال: وكنّا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس وأزد السراة وبنو عذرة "[٢٣].

وكما حاول العلماء تعيين القبائل الفصيحة مع ربطها بالموقع الجغرافي، جعلوا مجموعة من القبائل غير فصيحة بسبب مواقعها الجغرافية، ونكتفي بتكملة النصّ السابق للفارابي فبعد ذكره الفصحاء من القبائل ذكر من لم يأخذ العلماء عنهم، مثل:

---

(٢١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق ٨٨/١-٨٩

(٢٢) الفاضل - المبرد ص ١١٣

(٢٣) السابق ص ١١٣

الساكنين في الحَضَر، وسكان البراري الساكنين في أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، ومن هذه القبائل: لَخْم وجُذام، لمجاورتهم أهل مصر والقبط، وقضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، لأن أكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية، وتغلب والنَمِر لمجاورتهم اليونانيين، وبكر لمجاورتهم النبط والفرس، وعبد القيس ساكني البحرين لمخالطتهم الهند والفرس، وأزد عُمان لمخالطتهم الهند والفرس، وأهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة، وبنو حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، وحاضرة الحجاز لاختلاطهم بغيرهم من الأمم وفساد ألسنتهم[٢٤].

وتكفي النصوص السابقة حول مواطن القبائل الفصيحة وما عداها من القبائل في الدلالة على إدراك علماء العربية ارتباط الموقع الجغرافيّ باللغة.

• الفروق بين اللهجات العربية القديمة في البلاد المختلفة، وأثر البيئة الجغرافية عليها.

عرفَ اللغويّون اللهجات عند تدوين الفصحى ودراستها، ولا تخفى جهودهم الكبيرة في تدوين لهجات القبائل عند تقعيدهم اللغة لبيان اختلافهم في قواعد النحو، أو الألفاظ ومعانيها، وهم مع ذلك يربطون بين اللهجة وأهلها وموطنهم الجغرافي، وهي مظاهر على الربط بين اللغة والجغرافيا.

(٢٤) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو – جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، دار المعرفة الجامعية ص ١٠١–١٠٤

ولحظَ اللغويون انعكاس طبيعة الأرض وخصائص المناخ على طبيعة النطق وصفات الأصوات، وسكان الجبال أقسى نطقاً من سكان السهول، وساكنو الصحراء يؤثرون الأصوات المجهورة على المهموسة(٢٥).

ومما يمكن التمثيل به هنا ما ذكره اللغويون من الفروق بين لغتي الحجازيين والتميميين في النحو والدلالة والأصوات، وكذلك لهجات القبائل الأخرى، وكتب علوم العربية لا تكاد تخلو من الإشارة إلى الاختلافات اللهجية بينها، سواء في كتب النحو والتصريف أو المعاجم أو الأصوات.

ولو أردت الإشارة السريعة إلى أثر الموقع الجغرافي على اللهجة فيمكنني ذكر أن لهجة تميم والقبائل التابعة لها تمثل اللغة البدوية لعيشهم في نجد، وأن لغة الحجاز تمثل لغة الحاضرة، ولذا لوحظ أن لغة تميم تلجأ إلى الأشدّ والأقوى من الأصوات والألفاظ تأثراً ببيئة الصحراء، وأن لغة الحجاز تلجأ إلى الأرقّ من الأصوات تأثراً ببيئة الحاضرة المحيطة بها، وممّا يمكن التمثيل به هنا(٢٦):

• نبر الهمزة وتسهيلها: فالتميميون والقبائل النجدية التابعة لها ينبرون الهمزة أي يحققونها وينطقون بها، والحجازيون يسهلونها.

• نطق التميميون ألفاظاً بالطاء ونطقها الحجازيون بالتاء، منها: أفلَطني: وأفلتني، فَحَصْطَ: فَحَصْتَ، حِصْطَ: حِصْتَ، والطاء أقوى من التاء في صفاته مع اتفاقهما في المخرج.

(٢٥) ينظر: في علم اللغة - د. غازي مختار طليمات ص ٤٠، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

(٢٦) للتوسع في الفروق بين اللهجات ينظر كتاب: في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م ص ٨١ وما بعدها، دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح ص ٧٧ وما بعدها.

• نطق التميميون ألفاظاً بالصاد ونطقها الحجازيون بالسين، مثل: الصاق: الساق، صِماخ الأذن: سِماخ الأذن، والصاد أقوى من السين في الصفات مع اتحادهما في المخرج.

• نطق التميميون ألفاظاً بالقاف ونطقها الحجازيون بالكاف، مثل: قَشَطَ: كَشَطَ، والقاف أقوى من الكاف في الصفات مع اتفاقهما في المخرج.

• يضمّ التميميون حروفاً يكسرها الحجازيون، مثل: القُنْوَة: القِنْوَة، رُضْوان: رِضْوان، مُرْيَة: مِرْيَة، أُسْوَة: إسْوَة، قُدْوَة: قِدْوَة، والضم أقوى وأشدّ من الكسر.

• اللذون عند تميم يقابله: الذين عند الحجازيين، وهو الاسم الموصول لجمع المذكر.

ويتضح مما سبق أثر البيئة الجغرافية على خصائص كل لهجة

ومن علماء العرب الذي لَحَظوا تغيّر اللغات تأثراً بالبيئة الجغرافية ابنُ حزم الأندلسي، فقد قال في حديثه عن تبدّل اللغات وتغيّرها لتبدّل مواطن أهلها، وهو ما أدركه بالمشاهدة: " إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية، التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغةٌ واحدةٌ تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جَرْش(٢٧) كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما، ونحن نجد مَنْ سمع لغة أهل فَحْص البَلّوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول: إنها لغة

(٢٧) الجَرش: الحك، جرشه: حكّه، ولعله أراد صوتاً شبهه بصوت الحك ليبين الاختلافات التي وقعت بين تلك اللغات التي كانت لغةً واحدةً قبل تبدل مساكن أهلها.

أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على مَنْ تأمّله "(٢٨).

وإشارة ابن حزم تدلّ على نضج وفهمٍ منه لتغيّر اللغات وتأثرها بالبيئة الجغرافية المحيطة بها، ولم يكتفِ بما يمكن أن يكون غيره سبقه إليه من ملاحظة، بل إنّه مثّل بأمثلة حيّة في زمنه، في اختلاف لغات الأندلس والقيروان وخراسان، وما يُسمع من الناطق بها حين يروم اللغة الأخرى، كما يلفت النظر ملاحظته اختلاف لغة فَحْص البلّوط كثيراً عن لغة قرطبة مع تقاربهما في المسافة؛ لاختلاف البيئة الجغرافية، وتأثّرها بما يحيط بها.

ومثل جهود اللغويين تأتي جهود **الجغرافيين** وإشاراتهم التي تتصل بعلمي اللغة والجغرافيا، وفيما يلي أذكر بعض المسائل التي تدخل فيه:

- **إشارات الجغرافيين والرحالة العرب إلى التغيرات الصوتية التي تصيب اللغة في البيئات الجغرافية المختلفة.**

وهذا ميدان واسع يدخل تحته الكثير من ملاحظات الجغرافيين حول لغات البلدان في مستويات اللغة المختلفة من صوتية ونحوية ودلالية وصرفية، ومن الإشارات إلى التغيرات الصوتية ما يلي:

إبدال أهل المغرب اللام نوناً

ذكر الإدريسي (ت ٥٦٠هـ) أنهم يقولون لـ (قلّة الجبل): (قنّة الجبل).

وذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أن بعض أهل المغرب يقولون: تنمسان بدلاً من تلمسان(٢٩).

---

(٢٨) الأحكام في أصول الأحكام - ابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر ١/ ٣١، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(٢٩) ينظر: الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة ص ١٣١-١٣٢

إبدال القاف همزة

نسبه العبدري (ت ٦٨٨هـ) إلى أهل القاهرة وقال: " اللكنة فيهم فاشية، وجمهورهم يجعل القاف والكاف همزة "[٣٠].

• إشارات الجغرافيين إلى تسميات أهل البلدان للأشياء:

كان الجغرافيون والرحّالة عند حديثهم عن البلدان يذكرون تسمياتِ أهلها للأشياء التي يرونها، وقد تكون هذه التسميات تختلف عما يعرفونه في بلاد أخرى.

وأكثر الرحالة سلكوا هذا المسلك، ولا عجب من ذلك؛ فالإنسان مُغرم بذكر ما يستغربه من مسمّيات أو أسمائها، وممن اعتنى بذكر تسميات البلدان المقدسي (ت ٣٩٠هـ تقريباً) وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، وفيما يلي أمثلة لهذه الظاهرة تدليلاً على عناية جغرافيي العرب بهذا العلم:

ما ذكره المقدسي من تسميات بعض البلاد للأشياء

ذكر أبو عبد الله المقدسي في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)[31] بعضاً من الألفاظ التي يطلقها أهل الأقاليم على الأشياء، ومع كونها أسماء متفرقة لا تقع في موضوع واحد لكنّ جمعها وإيرادها يعطي نماذج عن تلك التسميات، ومن ذلك:

- تسمية أهل العراق **العجم أهل فوق وأهل الغرب أهل أسفل**. ص ٢٨
- تسمية أهل مكة المكرمة ما نزل عن المسجد الحرام **المـسفلة**، وما ارتفع عنه **المعلاة**. ص ٧٥
- تسمية أهل مكة المكرمة حِجْر إسماعيل **الحَطيم**. ص ٧٥
- تسمية أهل اليمن مدينة زَبِيد اليمنية **بغداد اليمن**. ص ٨٤

---

(٣٠) ينظر السابق ص ١٢٢

(٣١) اعتمدت على نشرة (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) التي نشرها د. محمد مخزوم، وطبعتها دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ولاختصار الحواشي فإني وضعت رقم الصفحة أمام كل فقرة.

- تسمية أهل مكة المَنّ المعروف في جميع بلاد الإسلام الرطل. ص ٩٤
- تسمية أهل العراق كل ما كان وراء الفرات **شاماً**. ص ١٣٤
- تسمية أهل الأندلس الرستاق **إقليماً**. ص ١٩٣- ١٩٤
- تسمية أهل المغرب نصف الدرهم **القيراط**، ونصف الثمن **الخرنوبة**. ص ١٩٨
- تسمية أهل جرجان العالم **معلّماً**. ص ٢٨٣

ما ذكره ابن بطوطة من تسميات بعض الشعوب للأشياء

اعتنى ابن بطوطة في رحلته(٣٢) بأسماء الأشياء التي يراها ويصفها، وقد التفت إلى اختلاف تسميات تلك الأشياء في البلاد المختلفة، وفيما يلي بعض المواضع التي ذكر فيها تسميّات الشعوب للأشياء وما يتصل بها(٣٣):

مما ذكره من تسميات العرب

- ♦ تسمية المغاربة أم الحُبين بـ (حنيشة الجنة). ٣/٧٩
- ♦ تسمية المغاربة أحد أنواع السمك بـ (تازّرت)، قال عن سمك شِيرْمَاهي: " وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتازّرت " ٢/١٣٤
- ♦ تسمية التين بـ (الخَمْط)، قال عندما ذكر رباطاً للصوفية في مكة: " ومن عادتهم أن كل من له بستان من النخيل والعنب والفِرْسِك وهو الخوخ، والتين وهم يسمونه الخَمْط " ١/٣٩٢
- ♦ تسمية أهل مرسى حاسك سمكهم بـ (اللَّخَم) ٢/١٣٠

---

(٣٢) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وقد اعتمدت على نشرة د. عبد الهادي التازي (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ولاختصار الحواشي وضعت رقم الجزء والصفحة أمام كل فقرة.

(٣٣) لمزيد من الأمثلة ينظر: ابن بطوطة وجهوده اللغوية والجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجاً - عبد العزيز الحميد ص ٢٧ وما بعدها، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار السويدي للنشر والتوزيع- أبو ظبي.

مما ذكره من تسميات العجم

♦ تسمية الترك السرير الأعظم للسلطان بـ (التخت) ٢٣٨/٢

♦ تسمية أهل إيذج الزاوية التي يكون فيها الطعام والشراب للضيوف بـ (المدرسة) ٢٣/٢

♦ تسمية أهل جزيرة سيلان آدم بـ (بابا)، وحوّاء بـ (ماما) ٨٠/٤

♦ تسمية أهل بلاد المعبر الأخبية بـ (الخيام) ٩٣/٤

• إشارات الجغرافيين اللغوية إلى اختلاف تسميات الأشياء من بلد إلى آخر:

كان الجغرافيون، وأكثرهم رحّالة، يذكرون الحالة اللغوية للبلدان التي يتحدثون عنها، وربما يقابلون بين البلدان في تسمية الشيء الواحد، وهم بذلك يشيرون إلى ترادف الأسماء للدلالة على شيء واحد، وفيما يلي أورد أمثلة غزيرة لهذه الظاهرة من رحلة أبي عبد الله المقدسي، فهو من أبرز من اعتنى بذكر اختلاف البلدان في التسميات، بل إنّ له منهجاً فريداً سأذكره فيما يلي:

ما تختلف فيه الأقاليم عند المقدسي

من الإشارات اللغويّة لدى الجغرافيّين والرحّالة ذكرُ ما تختلف فيه الأقاليم من التسميات، ومن أبرز من عُني بهذا الجانب المقدسيّ الرحالة المشهور في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)(٣٤)، فقد ذكر في بداية كتابه مجموعةً من المترادفات التي يستخدم أحدها إقليم ويستخدم الآخر إقليم آخر، فذكر مائةً وثمانين كلمة تنقسم إلى مجموعات من الألفاظ المترادفة، كل مجموعة لفظان أو ثلاثة أو أكثر، بل إنّه سعى إلى استعمال تلك المترادفات عند حديثه عن كل إقليم؛ فيستخدم في حديثه عن الإقليم الكلمة المرادفة الشائعة فيه، قال عن ذلك: " **وسنتكلم في كل إقليم بلسانهم ونناظر**

(٣٤) نشر عدة نشرات لكني اعتمدت على تحقيق د. محمد مخزوم وعنوان نشرته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م بيروت – لبنان، وأنبه إلى أني وثقت ما نقلته من نصوص من هذه الطبعة مع وضع رقم الصفحة أمام النص لتقليل الحواشي.

على طريقتهم، ونضرب من أمثالهم، لتعرف لغتهم ورسوم فقهائهم، فإن كنا في **غـير الأقاليم مثل هذه الأبواب تكلّمنا بلغة الشام، لأ ا إقليمي الذي به نشأت** " ص٣٩

أما عن الألفاظ التي ذكر المقدسي اختلاف الأقاليم فيها فسأذكر فيما يلي بعضها ، لكنّه لم يشر عند سرده الألفاظ إلى أيّ البلاد ينتسب كل لفظ ، وإنّما سعى إلى استعمال اللفظ في كلامه عند حديثه عن البلد الذي يشيع فيه ذلك اللفظ ، كما أنّه لم يستعمل كلّ تلك الألفاظ المائة والثمانين ، وإنّما استعمل بعضها ، وفيما يلي أسرد بعض الكلمات سرداً كما ذكرها المقدسي (بين كل مجموعة خط مائل): **[قطان، حلاج / مِيزاب، مِرزاب، مِزراب، مِثعب / باقلّى، فول / قدر، برمة / زنبيل، مِكتـل، قفّة / خادم، قيم، مفرك، بلان / حصن، قلعة، فهندز، كلات / مخاصم، خـصيم / حاكم، قاض / شيرج، سليط / زجاج، قواريري / صفع، صك / بقعة، موضـع / قطة، سنور، دمة، هرة / معلم، خادم، أستاذ، شيخ، خصي / دباغ، صرام، أدمي، سختياني، جلودي / قرياتي، رستاقي، سوادي / زراع، فلاح، حراث / فندق، خان / زرنوق، دولاب، حنانة / مسحاة، مجرفة / مِعول، فاس / ملاّح، نوتي]**(٣٥).

وفيما يلي أمثّل بمجموعتين من تلك الألفاظ بذكر النصوص التي استعملها فيها المقدسي ، وهما : **(لحام جزار قصاب)، (كرسف عطب قطن)** :

١ - (لحام، جزار، قصاب):

لّحام:

قال في حديثه عن القيروان في إقليم المغرب : " ولهم باب اللحامين " ص ١٨٧

جزار:

(٣٥) للاطلاع على جميع الألفاظ التي ذكرها المقدسي ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٩

قال عن اليمن في إقليم جزيرة العرب : " يقع عصبيات بين الخياطين وهم شيعة والجزارين وهم سنة " ص ٩٦

وقال عن سجلماسة في إقليم المغرب : " لها باب القبلي باب الغربي باب غدير الجزارين باب موقف زناتة وغيرها " ص ١٩١

قَصاب:

قال عن شيراز في إقليم فارس : " كول : عامرة الجامع في البزازين والقصابين والخبازين ومن الوجه الآخر ميدان شربهم من نهر " ص ٣٣٠

٢- (كرسف، عطب، قطن):

كرسف : لم يستعملها في كتابه.

عطب:

قال عن إقليم فارس : " كازرون : عامرة كبيرة هي دمياط الأعاجم وذلك أن ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوي ، وإن كانت من عُطْب تعمل بها وتباع فيها إلا ما يعمل بتوز " ص ٣٣١

قُطن:

• قال عن جزيرة العرب : "... أكثر ثيابهم القُطْن منتعلين لا يقولون بالمماطر ولا ثلج لهم ولا جليد ولا فواكه في الشتاء ولا قديد إلا ما يجفف من ذبائح منى " ص ٩٠

• وقال عن التجارات في إقليم آقور : " ومن حران القبيط وعسل النحل في أدنن والقُطْن والموازين " ص ١٢٨

• وقال عن إقليم الشام : " والتجارات به مفيدة ، يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والفوط. ومن بيت المقدس الجبن والقطن " ص ١٥٤

وقد اكتفيت بهذه المواضع الثلاثة أنموذجاً مع ورود اللفظ في مواضع كثيرة، وكثرة النصوص التي استعمل فيها (قطن) في أكثر الأقاليم دليل على شيوع الكلمة فيها، أما (عطب) فلم يستعملها إلا في إقليم فارس، مع مجيء كلمة (قطن) في إقليم فارس أيضاً، أما (كرسف) فلم ترد في كتابه.

• أحكام الجغرافيين على لغات البلدان:

أحكام الحسن بن أحمد الهمداني على لغات جزيرة العرب:

مع شهرة الهمداني - لسان اليمن كما لَقّب نفسه - جغرافيّاً لكن عُرف عنه عنايته باللغة، وربما كان لتقدّم عصره (توفي بعد سنة ٣٤٤ هـ) أثرٌ في عنايته باللغة وتميّز أسلوبه بالجزالة، ومع أنّ كتابه (صفة جزيرة العرب) كتاب جغرافيّ تحدّث فيه عن الجزيرة ومواضعها، لكنّه لم ينسَ الحكم على لغاتها فأصدر مجموعة كثيرة من الأحكام جاءت متصلة في نصّ مترابط، ومع طوله آثرت أن أنقله بنصّه هنا لأهميّته ودلالته على أحد مظاهر الجغرافيا اللغوية، ومع غموض بعض كلماته وكثرة الأسماء التي أوردها للقبائل تبقى قيمةُ النصّ في الدلالة على عناية الجغرافيين في وقت مبكّر بما يتصل من اللغة بالجغرافيا، وفيما يلي نصّ كلامه مقسماً على فقرات متوالية للمساعدة على فهم كل حكم وبيان من ينطبق عليهم:

قال الهمداني:(لغات أهل هذه الجزيرة:

أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء.

مهرةُ غُتم يشاكلون العجم.

حضرموت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كِندة وهمدان وبعض الصدِف.

سرو مذْحِج ومأرب وبيحانُ وحريب فصحاء، وردِي اللغــة منــهم قليــل.
سرو حِمير وجعدةُ ليسوا بفصحاء، وفي كلامهم شيءٌ مــن الــتحمِير ويجــرون في كلامهم، ويحذفون فيقولون: يابن معم، في: يابن الْعم، و "سِمع" في:" اسمع".
لَحج وأبين ودِثينةُ أفصح.
والعامِريون من كِندةَ والأودِيون أفْصحهم.
عدنُ لغتهم مولّدةٌ ردِيةٌ، وفي بعضهم نوك وحماقةٌ إلا من تأدب.
بنو مجِيدٍ وبنو واقِدٍ والأشعر لا بأس بلغتهم.
سافِلةُ المعافِر غُتم وعاليتها أمثَلُ.
... ثم ختم كلامه بقوله: فهذه لغات الجزيرة علــى الجملــة دون التبعــيض والتفنين)[٣٦].

والنصّ طويل وأحكامه على لغات الجزيرة غزيرة، ومع ما في أحكامه من غموض وكثرة لكنه نصّ مُهمٌّ لكونه في القرن الرابع الهجري، مع دلالته على عناية الهمداني بالجانب اللغوي من حديثه عن البلدان.

وقد وقف تشيم رابين Chaim Rabin عند نصّ الهمداني وقفة عميقة، وتساءل في البداية عن المقياس الذي اتخذه الهمداني في الحكم على اللغات بالجيد أو الرديء؛ لأن أغلب اللهجات التي ذكرها لم تبق دون تغيير، وقد ذكر احتمال أن تكون حركة التعريب قد أحدثت أثرها نتيجة لوفود عرب الصحراء من ناحية، ولحركة التعليم الإسلامية التي ظلت حية طوال ثلاثة عشر قرناً.

وقدم صورة للوضع اللغوي ما بين القرنين الرابع – وهو زمن الهمداني – والعاشر، فذكر أن العربية الصحيحة كانت تستعمل في المرتفعات الشرقية من

(٣٦) ينظر: صفة جزيرة العرب – لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ص ٢٤٨-٢٤٩

السرات، وفي الجنوب والمناطق المجاورة للمرتفعات وهي المنحدرات الغربية للسرات، وهي مواضع اللهجات التي وصفها الهمداني بأنها متوسطة أو خليط.

لقد بذل رابين جهداً مشكوراً في تفكيك نصّ الهمداني وبالأخصّ فيما يتعلق بالحميرية، فقدم صورة مقبولة لمواقع الحميرية وعلاقتها بالعربية والتغيرات التي أصابتها في تفصيلات يصعب إيرادها هنا، كما أنه رسم خارطة لمواقع الحميرية الخالصة والحميرية المختلطة(٣٧).

ومع أن نصّ الهمدانيّ يحتاج إلى دراسة عميقة متأنية ليس هذا موضعها، لكني لا أنسى الإشارة إلى غزارة أحكام الهمدانيّ ودقّتها، ومنها وصفه لغات بعض القبائل بالفصاحة بدرجاتها المختلفة، ولغات قبائل أخرى بالخليط من العربية والحميرية، مع ذكره اللغات التي هي حميرية متعقّدة أو أقرب إلى الحميرية(٣٨).

أحكام المقدسي على لغات الأقاليم وذكر خصائصها:

حوتْ رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أحكامه على لغات البلدان ووصفه لها بأوصاف مختلفة، بين مدحٍ وقدح، ومع شهرته جغرافياً لكنّ أحكامه اللغوية جديرة بالدراسة؛ لكونه عرف تلك البلدان ودخلها وسمع أهلها.

جمعت بعض أقوال المقدسي أحكاماً عدّةً على عدد من لغات الأقاليم، أعرض بعضها فيما يلي:

---

(٣٧) للتوسع في الاطلاع على آراء رابين حول ما ذكره الهمداني ينظر كتابه: اللهجات العربية الغربية القديمة ص ٩٠-٩١.

(٣٨) اعتنى أ. د. حميد العواضي بنص الهمداني واستعرضه استعراضاً دقيقاً، وحلل مصطلحاته اللغوية المتـصلة بوصف لغات الجزيرة. ينظر: لهجات جزيرة العرب كما يصفها الهمداني – أ. د. حميد العواضي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء، المجلد ٣٣ العدد (عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء ٢٠١٠) ص ٩٦-١٠٣

• قال في حديثٍ طويلٍ عن خصائص الأقاليم : "... ولا أحسنَ لساناً من أهل بغداد ، ولا أوحش من لسان صيدا وهراة ، ولا أصحّ من لسان خراسان ، ولا أحسن عجميةً من أهل بلخ والشاش ، ولا أعفط من أهل البطائح ، ولا أسلم صدوراً من أهل هيطل ، ولا أخير قوماً من أهل غرج الشار " ص ٤٢

وقد نبّه إلى أنّ تلك العيوب التي ذكرها في الأقاليم هي لعوامّ الناس ، أمّا رجال العلم والأدب فيُستثنون منهم ، قال : ".... وكلّما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمَعْزِل ، خاصّةً الفقهاء ، لأني رأيت الفضل فيهم" ص ٤٣

وفيما يلي نماذج من أحكامه على لغة الإقليم الواحد :

إقليم جزيرة العرب

• أطلق المقدسي حكمه في بيان أفصح العرب بقوله : " جميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أنّ أصحّها لغة هُذَيل ، ثم النّجدين ، ثم بقية الحجاز ، إلا الأحقاف فإن لسانهم وَحش". ص ٩١

• وصفه لسان الأحقاف بأنه وَحش وصف سيتكرّر في مواضع عدّة ، وقد وصف أهل الأحقاف بعدم الإفصاح في موضع آخر فقال : " أهل الأحقاف نواصب **غُتم** "ص ٩٧ ، والغُتْمَةُ : العُجمة ، والأَغْتَمُ الذي لا يُفصح شيئاً والجمع غُتْم. مختار الصحاح (غتم).

• ذكر المقدسي لغة أهل الجزيرة بقوله : " أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصَحار فإن نداءهم وكلامهم بالفارسيّة " ص ٩١ ، وهو هنا استثنى صحار العمانية لكون لغتهم الفارسيّة.

• خصّ عَدَن وجدّة بالحكم فقال عنهما : " أكثر أهل عدن وجدّة فرس إلا أن اللغة عربية " ص ٩١

• وذكر بعض ظواهر لغة عَدَن التي تخالف اللغة الفصحى، قال: " أهل عدن يقولون لرِجْلَيه: رِجْلينه، وليَدِيه: يَدينه، وقِسْ عليه، ويجعلون الجيمَ كافاً فيقولون لرَجَب: رَكَب، ولرجل: ركل " ص ٩١

إقليم العراق

• قال عن إقليم العراق بعامّة: " لغاتهم مختلفة أصحّها الكوفية لقُرْبهم من البادية وبُعْدهم عن النَبَط، ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة بخاصة بغداد، وأما البطائح فنَبَطٌ لا لسانَ ولا عقلَ " ص ١١٤، فهو قد ذكر فصاحة لغة الكوفة وأنّها أصحّ لغات العراق، وذكر فساد لغة بغداد.

وذهب يوهان فوك إلى أن الظاهر أن مراده أنها حسنة الوقع في الأذن وإنْ لم تطابق قواعد النحو(٣٩).

والمقدسي هنا يذمّ لغة بغداد لكنّه في موضع آخر أثنى على لسان بغداد فقال في حديثه عن خصائص الأقاليم في أحكامه العامّة التي تتميّز بها بعض الأقاليم: "... ولا أحسن لساناً من أهل **بغداد** " ص٤٢، ويظهر أنه أراد بحسن لسان أهل بغداد وقعها في الأذن كما فسره يوهان فك سابقاً.

وذكر في القول السابق عدم فصاحة كلام أهل **البطائح** في قوله: " ولا أعفط من أهل البطائح "، والعَفْط في الكلام اللكنة وعدم الفصاحة.

• في بداية الكتاب قال في بعض أحكامه على كلام بعض البلدان: " ألا ترى إلى بلاغتنا في إقليم المشرق لأنهم أصح الناس عربيّة لأنهم تكلّفوها تكلّفاً، وتعلّموها تلقّفاً. ثم إلى ركاكة كلامنا في مصر والمغرب، وقبحه في ناحية البطائح، لأنه لسان القوم " ص ٣٩- ٤٠، وهو هنا صريح في قبح كلام أهل البطائح.

---

(٣٩) العربية – يوهان فك، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ص ٢٠٤

وعلّل يوهان فك قبح لسان البطائح بأنه نشأ من اختلاط السكان هناك بين قبائل عربية، وأنباط، وأخلاف السكان الآرميّين القدامى، وأمشاج الزطّ الذين أسكنهم الحجاج هناك، مع العدد الذي لا يحصى من الزنج(٤٠).

أحكام ابن بطوطة على لغة المتحدثين

اشتملت رحلة ابن بطوطة على الكثير من الإشارات اللغوية المختلفة، لكنّه لم يُعرْ لغات الأقاليم اهتماماً للحكم عليها، ولعلّ الحكم على لغة يحتاج إلى معرفة عميقة باللغة، وهو ما يستطيعه عالم اللغة، ولذا لم يرد في رحلة ابن بطوطة إلا حكمان صريحان على لغتي بلدين أحدهما عربي والآخر أعجمي:

- ما قاله عن لغة مدينة قَلْهات في عُمان: " وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب، وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا، فيقولون مثلاً: تأكل لا، تمشي لا، تفعل كذا لا " ٤/١٣٦
- وقوله عن أهل بلاد البَرَهْنَكار، وهو بلد أعجمي: " ولهم كلام غريب لا يفقهه إلا من ساكَنَهم، وأكثر التردّد إليهم " ٤/١٠٨

الخاتمة

فيما مضى من صفحات البحث حاولت أمراً صعباً، هو إعطاء صورة متوازنة عن علمٍ حديثٍ له جذور قديمة لدى العرب، هو علم اللغة الجغرافي، وجاءت الصعوبة من كونه علماً حديثاً يحمل مفاهيم تُطبّق على ميادين جديدة للبحث، مع

---

(٤٠) ينظر المصدر السابق ص ٢٠٤، وذكر ابن منظور عن البطائح قوله:" والبطيحة ما بين واسط والبصرة وهو ماء مستنقع لا يرى طرفاه من سعته وهو مغيض ماء دجلة والفرات وكذلك مغايض ما بين بصرة والأهواز والطف ساحل البطيحة وهي البطائح والبطحان " لسان العرب (بطح).

دخول العديد من جهود علماء العرب تحت مظلّته، وهو ما يحتاج إلى موازنة بين الجديد فيه والقديم الذي ينضوي تحته.

حاولت في بحثي الجمع بين إعطاء صورة تقريبية للعلم في جانبه النظري، مع تقديم جوانب تطبيقية له، سواء في عالمنا المعاصر، أو في جهود العلماء السابقين.

لقد خرجت بنتائج إيجابيّة من عملي في هذا البحث، يمكن تقديم أهمّها:

١- كثيرٌ من العلوم اللغوية التي تحمل اصطلاحات حديثة في تسميتها لها جذور راسخة في أعمال القدماء، ذلك أنّ جهود علماء العرب شملت كلّ جوانب اللغة، بل إنّهم سعوا إلى التجديد في دراساتهم على مدى التاريخ، وإسهام غير اللغويّ في الحديث عن اللغة حينما تتصل بتخصّصه هو ممّا يغني الدراسات اللغويّة، وهو الذي حصل في دراسات هذا العلم (علم اللغة الجغرافي)؛ فقد كان لجهود الجغرافيّين أثر كبير في نضج هذه الدراسات، فقد اجتهدوا في الكشف عن امتدادات اللغة واتصالها بالجغرافيا.

٢- مناطق التماسّ بين العلوم من أغنى الميادين للدراسة، مع انصراف كثير من الباحثين عنها لغفلتهم عن الصلة بين العلوم وإيثارهم المسائل الخالصة في تخصصاتهم، كما أنّ البحث في هذه الميادين يحتاج إلى اجتهاد واطلاع وسعة أفق تجعله يخرج أحياناً من بعض ما اعتاد عليه في تخصّصه.

٣- حاجة التراث العربيّ إلى مزيد من العناية لاستخراج ما فيه من كنوز تسهم في تقريب العلوم الحديثة إلينا وتقبّلنا لها؛ فشعورنا بأنّ ما جدّ في ميادين العلم من استقلال بعض العلوم له أصول في التراث العربي، أو إشاراتٌ متفرّقة في تراثنا سيجعل الباحث العربي أكثر تفاعلاً مع هذه العلوم لأنّ أسلافه سبقوا في الخوض فيها.

٤- تأتي كتب الرحلات من أغنى المصادر وأقدرها على تصوير لغات الأقاليم والتغيرات اللغويّة التي تصيبها، وهي من أصدق المصادر في إعطاء الصورة الحقيقية عن الحالة اللغوية في البلدان التي تصفها.

أتمنّى أن أكون وفقت في تقديم صورة تقريبيّة عن علم اللغة الجغرافي، وما يدخل تحته من جهود العرب السابقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث

الكتب

[١] *ابن بطوطة وجهوده اللغوية والجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجاً* - عبد العزيز الحميد، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار السويدي للنشر والتوزيع- أبو ظبي.

[٢] *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* - أبو عبد الله المقدسي، نشرها د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

[٣] *الأحكام في أصول الأحكام* - ابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

[٤] *أسس علم اللغة* – ماريوباي، ترجمة د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

[٥] *الاقتراح في علم أصول النحو* – جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، دار المعرفة الجامعية.

[٦] *التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق* للدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠٢م

[٧] *دراسات في فقه اللغة* – د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة عشرة ٢٠٠٥.
[٨] *رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق د. عبد الهادي التازي (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية).
[٩] *صفة جزيرة العرب* – لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد – صنعاء، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
[١٠] *العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب* – يوهان فك، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية – القاهرة ٢٠٠٦م.
[١١] *علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي* لرونالد ل. بريتون بترجمة هارولد ف. شفمن إلى الإنجليزية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحمدي، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١هـ.
[١٢] *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* – ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل – بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
[١٣] *الفاضل* - أبو العباس المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٥م.
[١٤] *فصول في علم اللغة العام* - ف. دي سوسير، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥م.
[١٥] *في علم اللغة* - د. غازي مختار طليمات، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
[١٦] *قراءات في علم اللغة* – تأليف وترجمة الدكتور أحمد شفيق الخطيب، دار النشر للجامعات – مصر ١٤٢٧هـ.

[١٧] *لسان العرب المحيط* – ابن منظور – إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب – بيروت – لبنان.
[١٨] *اللهجات العربية الغربية القديمة* – تشيم رابين، ترجمه عبد الرحمن أيوب، طبعة جامعة الكويت ١٩٨٦م...، وقد نشر الكتاب بعنوان آخر هو: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية.
[١٩] *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* – جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
[٢٠] *معجم البلدان* – ياقوت الحموي، دار صادر – بيروت ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
[٢١] *الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة* – رسالة دكتوراه أعدها أحمد عبد الله عبد ربه ياغي، بإشراف أ. د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

البحوث

[٢٢] *الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي* - الأستاذ إبراهيم محمد الخطابي (مجلة اللسان العربي – العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨هـ ديسمبر ١٩٩٧م)
[٢٣] *الأطلس اللغوي* للدكتور خليل محمود عساكر - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٤.

[٢٤] *التفكير اللساني في الحضارة العربية* - عبد الفتاح المصري - مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ١٣٥ و ١٣٦ تموز و آب ١٩٨٢.

[٢٥] *الجغرافيا اللغوية وأطلس* برجشتراسر - الدكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).

[٢٦] *قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي* - د. عبد العلي الودغيري (مجلة المعجمية ٥-٦/٢٢٠-٢٢٤).

[٢٧] *لغات العالم: من يتكلم ماذا*- برنارد كومري (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩٥٩ وما بعدها).

[٢٨] *اللغة انتماء جغرافي*- مارتن ديورل (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩١٩ وما بعدها).

[٢٩] *اللغة كما تطورت*: تتبع أشكالها وعائلاتها- ن. ي. كولينج (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٨٧٩- ٨٨٠).

[٣٠] *لهجات جزيرة العرب كما يصفها الهمداني* – أ. د. حميد العواضي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء، المجلد ٣٣ العدد (عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء ٢٠١٠) ص ٩٦-١٠٣

Geolinguistics between Being a New Field and its Basic Concepts Set by Arab Scholars

Abstract. This paper concerns itself with a new field called geolinguistics, which consists of two distinct realms, i.e., language and geography. Arab scholars were first to introduce this filed, which was later developed by scholars of other nations in the modern time.

The disused issues to be included in this paper are tackled in three parts, as follows. Part I provides an overview of geolinguistics. Part II, on the other hand, puts forth a comprehensive review of the confronting issues equated with geolinguistics and its contemporary applications, such as atlases of dialogues, language phenomena, the distribution of languages throughout the world, language families, bilingualism, and the relationship between languages and dialogues.

Part III, surveys the contributions of Arab linguistics and geographers to the field of geolinguistics. These endeavors include (a) standard of Arabic (Fusha) and its geographical boarder; (b) the old dialogues of Arab tribes in various countries and the influence of geographic environment on them; (c) accounts of Arab geographers pertaining to phonological, morphological, and semantic changes that occur to language in different geographical areas; (d) linguistics accounts in geography books indicating different names given to various items in countries; and (e) geographers judgment on countries languages and how close or far such languages from standard Arabic.